الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملك الحق المبين قيوم السموات والأراضين وخالق الخلق أجمعين وإله الأولين والآخرين و أشهد أن محمدًا عبده ورسوله وصفيه وخليله وأمينه على وحيه ومبلغ الناس شرعه فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين وسلم تسليمًا كثيرًا.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (102)

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (1)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (18)

وبعد:

تحدثنا في لقائنا الماضي عن بعض التأملات في سورة العصر وفيها أقسم الله العظيم بقسم عظيم و قال وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2)وسبب الخسران أن الإنسان كل إنسان عبارة عن زمن وله نقطة نهاية كلما مضى وقت مضى جزء منه فنحن سائرون إلى نقطة النهاية لا محالة فمُضي الزمن يستهلكنا شيئًا فشيئًا حتى نصل إلى النهاية.

ثم استثنى الله سبحانه وتعالى قومًا من الخسران فقال تعالى إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (3)

هذه هي أركان النجاة الأربع بإمكانك أن تنجو من هذه الخسارة بهذه الأركان الأربع

إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (3)

وجدير بنا أن نقف أمام هذه الأركان لنتأمل فيها سائلين الله تعالى أن يكتب لنا النجاة:

الركن الأول هو الإيمان إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا الركن الثاني هو العمل الصالح وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

و الإيمان له أصول ستة عليها قيامه ولا قيام للإيمان إلا بها وهي:

الإيمان بالله وبملائكته وكتبه

ورسله وباليوم الآخر وبالقدر خيره وشره

وقد جاء ذكرها في آيات متعددة في القرآن الكريم متفرقة ومجموعة منها قوله تعالى:

لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ

و في السنة حديث عن جبريل لما سأل النبي قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: أن تُؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال: صدقتَ وفيه أن النبي قال: يا عمر، أتدري من السائل؟ قال عمر: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه جبريل أتاكم يُعلمكم دينَكم. رواه مسلم.

فهذه أصول الإيمان وهي شرط في قبول العمل فلا قبول الطاعة ولا ذكاء لعمل في الدنيا والآخرة إلا إذا حقق العبد الإيمان بهذه الأصول الستة فإن جحدها أو جحد جزء منها فقد خرج من الإيمان و طاعته ترد عليه

قال تعالى:"وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (5)"

ونستقي الإيمان ونأخذه من منبعه الأصلي من القرآن والسنة فالإيمان يبنى بناءًا كاملًا على ما جاء في الكتاب والسنة فكلاهما وحي من الله تعالى ويجب علينا أن نتلقى ما جاء فيهما بالقبول التام وخاصة إذا كان غيبًا وقد استفتح الله تعالى كتابه الكريم بعد سورة الفاتحة بقوله تعالى

الم (1) ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (3) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4) أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (5)

هذا الغيب لا نعرفه يقينًا إلا بما جاء في القرآن و بما أخبرنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم

مع التسليم التام بأن الشريعة كاملة و أن كل ما فيها صدقًا وعدلًا قال تعالى

وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (115)

فكل ما جاء في الكتاب والسنة من أخبار هو الصدق التام

وكل ما جاء في الكتاب والسنة من أحكام هو العدل التام

و أصل أصول الإيمان هو الإيمان بالله تعالى فالإيمان بالله تعالى رأس كل فلاح فما أنزلت الكتب ولا أرسلت الرسل إلا لأجل تقريره وتثبيته في النفوس

و الإيمان بالله تعالى منة الله تعالى على عباده المؤمنين وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (7)

ولا يحصل الإيمان إلا بعلم قال الله تعالى لنبيه فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ

إن أهم ما يجب على المرء أن يعلمه هو علمه بربه تعالى وإيمانه به علمًا يقينيًا ويجب أن يقدم ذلك على سائر شؤونه مهما بلغت ومهما كانت فسعادة العبد وكماله وفلاحه في الدنيا والآخرة منوطة بمعرفته بربه تعالى

والإيمان بالله تعالى:

هو الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى رب كل شيء ومليكه و أنه الخالق وحده والمدبر للكون كله و أنه هو المستحِق للعبادة وحده لا شريك له و أن كل معبود سواه فهو باطل وعبادته باطلة و أنه تعالى متصف بصفات الكمال ونعوت الجلال منزه عن كل نقص وعيب

وحقيقة الإيمان تشتمل على ثلاثة أركان:

اعتقاد القلب وقول اللسان وعمل الجوارح

قال الشافعي: "وكان الإجماع من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم، ممن أدركناهم؛ يقولون:الإيمان قول وعمل ونية، لا يجزئ واحد من الثلاث إلا بالآخر."

والإيمان لا يكون إلا بكمال اليقين وكمال التصديق بكل ما جاء في الكتاب والسنة لأنهما وحي من عند الله تعالى واجب على المسلم أن يتلقاهما بالقبول والإيمان والتسليم دون تردد أو تشكيك فالشك و التردد ليس بالإيمان إنما كمال الإيمان في اليقين والتسليم

قال تعالى إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (15) ليس في قلبهم ذرة من شك أو تردد

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" أشهَدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ ، و أنِّي رسولُ اللهِ ، لا يلْقَى اللهَ بِهِما عبدٌ غيرُ شاكٍّ فِيهِما إلَّا دخَلَ الجنةَ"

فاشترط صلى الله عليه وسلم عدم الشك والمعنى هو اليقين التام

- والإيمان بالله تعالى يبنى على أساسين هما:

أساس يتعلق بالعلم و أساس يتعلق بالعمل

وهذان الأساسان متلازمان لا بد منهما معًا حتى يكون العبد مؤمنًا حقًا قال تعالى قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (14)

وقال الحسن البصري :"لَيْسَ الإِيمَانَ بالتَّمَنِّي ولا بالتَّحَلِّي، وَلَكِنْ هُوَ مَا وَقَرَ في القَلْبِ، وَصَدَّقَهُ العَمَلُ، وَإِنَّ قَوْماً خَرَجُوا من الدُّنْيَا وَلَا عَمَلَ لَهُم؛ وَقَالُوا: نَحْنُ نُحْسِنُ الظَّنَّ باللهِ؛ وَكَذَبُوا، لَو أَحْسَنُوا الظَّنَّ لَأَحْسَنُوا العَمَلَ."

أما الأساس العلمي فواجب على المسلم أن يتعرف على الله تعالى بما عرّف الله به نفسه من أسمائه وصفاته و أفعاله و أحكامه من كتاب ربه وسنة نبيه

أما الأساس العملي فواجب على المسلم التعبد لله تعالى وطاعته وامتثال أوامره بما شرع الله في كتابه وسنة نبيه

فالأساس العلمي هو توحيد الله تعالى بأسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه والثاني هو الأساس العملي وهو توحيد الله تعالى بأفعال عباده من صيام وصدقة وحج ونذر وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر إلى آخر الطاعات ولا بد في الأمرين من الإخلاص التام لله تعالى

وكلا الأساسين :التوحيد العلمي والتوحيد العملي

جاء بيانهما في القرآن الكريم في سورتيّ الإخلاص:سورة قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ وسورة قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ

ففي الحديث عن جابر بن عبد الله ، أن رجلا قام فركع ركعتي الفجر ، فقرأ في الأولى : قل يا أيها الكافرون حتى انقضت السورة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : هذا عبد عرف ربه ، وقرأ في الآخرة : قل هو الله أحد

حتى انقضت السورة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا عبد آمن بربه.

ففي السورة الأولى قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ الجانب العملي وهو إخلاص العبادة لله وحده دون سواه في كل عبادته قال تعالى:"وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ (5)"وقال :"أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وفي كل صلاة نقرأ:" إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ"

وهذا الجانب العملي قوامه الإخلاص للمعبود تعالى والمتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم

أما الجانب العلمي ففي سورة الإخلاص

ففيها تعريف وافيٍ لله تعالى كما أخبر عن نفسه لذلك قال رسول الله عن الرجل الذي قرأها هذا عبد آمن بربه

- ولكي نتذوق الإيمان يجب أن نحيا به ونعيش الإيمان بالله تعالى عمليًا في حياتنا وهذا معنى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم :"ذاقَ

طعمَ الإيمانِ من رضيَ باللَّهِ ربًّا وبالإسلامِ دينًا وبمحمَّدٍ صلَّى اللَّهُ عليه وسلم نبيا"

يجب على المؤمن الحق أن يعيش الإيمان في المسجد وفي السوق وفي البيت وفي الشارع و في العمل وفي معاملاته مع أهله وجيرانه وأصدقائه وفي تعامله المادي والمعنوي وهذا معنى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم:"واللهِ لا يؤمِنُ واللهِ لا يؤمِنُ واللهِ لا يؤمِنُ قالوا وما ذاكَ يا رسولَ اللهِ قال جارٌ لا يَأْمَنُ جارُهُ بوائقَهُ قالوا يا رسولَ اللهِ وما بوائقُهُ قال شرُّهُ"

كيف تكون مؤمنًا بالله حقًا وأنت تعبده في المسجد ثم تعصاه في العمل أو في سلوكك مع الآخرين ألا تعلم أنه مطلع عليك "يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ (19)"

كيف تكون مؤمنًا حقًا وأنت تعصاه و تدعي زورًا أن غش الناس رزقًا أو التدليس على الناس مهارة أو الكذب تجملًا

كن كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فعندما سُئِلَتْ عائِشةُ عن خُلُقِ رسول الله، فقالَتْ: كان خُلُقُه القُرآنَ.

اجعل نصب عينيك الله مطلع عليّ الله يراني الله قادر الله رازقي الله عادل الله رحيم الله على كل شيء قدير

كانَ رَجُلٌ مِنَ الأنْصارِ يَؤُمُّهُمْ في مَسْجِدِ قُباءٍ، وكانَ كُلَّما افْتَتَحَ سُورَةً يَقْرَأُ بها لهمْ في الصَّلاَةِ ممَّا يَقْرَأُ به افْتَتَحَ: بقُلْ هو اللَّهُ أحَدٌ حتَّى يَفْرُغَ مِنْها، ثُمَّ يَقْرَأُ سُورَةً أُخْرَى معها، وكانَ يَصْنَعُ ذلكَ في كُلِّ رَكْعَةٍ، فَكَلَّمَهُ أصْحابُهُ، فقالوا: إنَّكَ تَفْتَتِحُ بهذِه السُّورَةِ، ثُمَّ لاَ تَرَى أنَّها تُجْزِئُكَ حتَّى تَقْرَأَ بأُخْرَى، فَإمَّا تَقْرَأُ بها وإمَّا أنْ تَدَعَها، وتَقْرَأَ بأُخْرَى فقالَ: ما أنا بتارِكِها، إنْ أحْبَبْتُمْ أنْ أؤُمَّكُمْ بذلكَ فَعَلْتُ، وإنْ كَرِهْتُمْ تَرَكْتُكُمْ، وكانُوا يَرَوْنَ أنَّه مِن أفْضَلِهِمْ، وكَرِهُوا أنْ يَؤُمَّهُمْ غَيْرُهُ، فَلَمَّا أتاهُمُ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أخْبَرُوهُ الخَبَرَ، فقالَ: «يا فُلاَنُ، ما يَمْنَعُكَ أنْ تَفْعَلَ ما يَأْمُرُكَ به أصْحابُكَ، وما يَحْمِلُكَ علَى لُزُومِ هذِه السُّورَةِ في كُلِّ رَكْعَةٍ» فقالَ: إنِّي أُحِبُّها، فقالَ: «حُبُّكَ إيَّاها أدْخَلَكَ الجَنَّةَ»

تأملوا حب صفات الله تعالى وحب أسمائه و معرفتها و معايشة الإيمان كيف أوصل صاحبها «حُبُّكَ إيَّاها أدْخَلَكَ الجَنَّةَ» وهذا يدل على أن معرفة الله تعالى أعظم أسباب دخول الجنة فكلما كان الإنسان عارفًا بالله تعالى و

أسمائه وصفاته كلما كان أقرب للطاعات و أبعد عن المعاصي «حُبُّكَ إيَّاها أدْخَلَكَ الجَنَّةَ»

وفي الحديث:"للهِ تبارَك وتعالى تِسعةٌ وتسعونَ اسمًا مَن أحصاها دخَل الجنَّةَ" ما ذلك إلا لأنك كلما ازددت معرفة بالله تعالى ازدادت خشيتك منه وطاعتك إياه وابتعدت عن عصيانه وفراقه وغضبه

قال تعالى :"إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ"

وقال أحد الصالحين يوصي أهل العلم :" من كان بالله أعرف كان له أخوف "

وثبت في الحديث أن سورة الإخلاص التي هي قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ تعدل ثلث القران فقد قال صلى الله عليه وسلم :"أَما يَسْتَطِيعُ أحدُكُمْ أنْ يقرأَ : قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ثلاثَ مراتٍ في ليلةٍ، فإنَّها تَعْدِلُ ثُلُثَ القرآنِ "وما ذلك إلا لأنها اشتملت على صفة الرحمن.

وفي الحديث أن آية الكرسي أعظم آيات القرآن الكريم اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا

يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (255) فقد ذُكر عن أُبي بن كعب أن رسول الله سأله فقال "يا أبا المُنْذِرِ، أتَدْرِي أيُّ آيَةٍ مِن كِتابِ اللهِ معكَ أعْظَمُ؟ قالَ: قُلتُ: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ. قالَ: يا أبا المُنْذِرِ أتَدْرِي أيُّ آيَةٍ مِن كِتابِ اللهِ معكَ أعْظَمُ؟ قالَ: قُلتُ: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ} [البقرة: 255]. قالَ: فَضَرَبَ في صَدْرِي، وقالَ: واللَّهِ لِيَهْنِكَ العِلْمُ أبا المُنْذِرِ" وهي في التعريف بالله تعالى والدعوة إلى عبادته فقد اشتملت على خمسة من أسماء الله تعالى وعلى ما يزيد من عشرين صفة من صفات الله تعالى.

وللإيمان بالله تعالى ثمرات عديدة يحصل عليها العبد المؤمن إذا كان صادق الإيمان

لعلنا نعرج عليها في لقائنا القادم إن شاء الله

أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب إنه هو الغفور الرحيم ادعوا الله و أنتم موقنون بالإجابة